رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

لذة العبادة

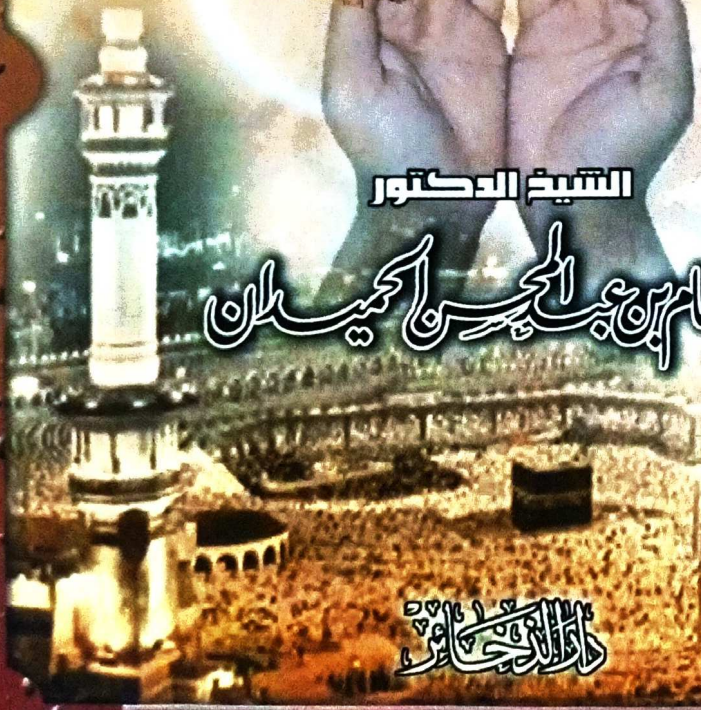

الشيخ الدكتور
عصام بن عبد المحسن الحميدان

دار الذخائر

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

لذة العبادة

إعداد
عصام بن عبدالمحسن الحميدان

ⓒ عصام بن عبدالمحسن الحميدان ، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحميدان ، عصام بن عبدالمحسن

لذة العبادة - الرياض

٦٤ص ، ١٢ × ١٧ سم

ردمك : ٠ - ١٨ - ٦٢٦ - ٩٩٦٠

١ - العبادات (فقه إسلامي) أ - العنوان

ديوي ٢٥٢ ٢٢/٥١٤٤

رقم الإيداع ٢٢/٥١٤٤

ردمك : ٠ - ١٨ - ٦٢٦ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

لـــذة العبـــادة

الحمد لله الذي ملأ قلوب أوليائه بمحبته، ورطَّب ألسنتهم بمناجاته، وأحيا نفوسهم بالشوق إليه، فهو قوت قلوبهم، وغذاء أرواحهم، وقرة عيونهم، ثم ارتقى بهم سبحانه، فأخبرهم حبيبهم تبارك وتعالى أنه يحبهم كما يحبونه، و يتمنى لقاءهم كما يتمنون لقاءه، فأيُّ نعيمٍ هم فيه؟! وأيُّ محبوبٍ يساويه؟!

إخواني وأخواتي المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات:

إننا في عصرٍ يؤثِّر فينا كما نؤثِّر فيه، ولكن أحياناً يكون تأثيره فينا أكبر من تأثيرنا فيه، وذلك نتيجةً لكون المعطيات والإمكانيات التي يوفِّرها العصر أكبر من أن نسايرها فضلاً عن أن نستوعبها، ويكون الخطر عظيماً عندما يكون تأثيره فينا يخترق جانب العقيدة والفكر والوجدان ؛ لأن هذا مما يذهب بالمؤمن إلى دركات الهوى والشهوة، فربما لم يجد من يخرجه من مهالكهما، و ربّ جرحٍ وقع في مقتل.

ولذا وُلدت فكرة هذه الرسالة، لتنقذ - بإذن الله -

الغـارقـين في هواهم، ظناً منـهم أن لذات الدنيـا خـالدة، وشهـواتها كاملة، فـتفتح لهم باباً جـديداً من اللذات، لكنها حقيقةً خالدةٌ لا ينتهي نعـيمها، وكاملةٌ لا يُشاب سرورها . . وتسلِّي السـائريـن على درب الصـلاح والإصـلاح عن لذائذ يفقدونها من الدنيـا، نتيجةً لامتحانهم بتركـها، أو لانشغالهم بحـركة المجـاهدة والمغـالبـة عن استطعـامـها، فـتـعوِّضـهم بخواطرها، وتنقلهم إلى عالَم المجرِّبين، فيثبتون . .

ثم هي لمن كان مزدوج الرغبة، متردداً في الطريق، يريد أن يسلك طريق الاحتراف مع الزاهدين، و في الوقت نفسه لا يفوته لهـو اللاهين، فتخاطبـه الرسالة أن وحِّد سبيـلك، كما وحَّدت خالقك، فما كان لمخلصٍ أن يشرك مع الله محبوباً.

أسـأل الله تعـالى أن يرزقني وإياكـم لذيذ مناجـاته، و الشوق إليه في غـير ضراء مضلة ولا فتنةٍ مـضلّة، والحمد لله رب العالمين، ، ، ، ،

كتبـــه

عصام بن عبد المحسن الحميدان

الظهران في ١٥ / ٢ / ١٤٢٢هـ

ما هـي اللـذة ؟:

ألم تمرّ عليكَ، أو عليك لحظات وأنت في ليلة من ليالي شهر رمضان، والإمام في صلاة التراويح يقرأ قراءةً خاشعةً ويبكي، وأنت خلفه مستغرقٌ في معاني الآيات ذائبٌ في جوِّها، وروحك فرحةٌ تتمنى لو تمتدّ الصلاة إلى السَّحَر؟

ألم تمرّ عليكَ، أو عليك لحظاتٌ وأنت تلجُ البيت الحرام فتبصر البيت، فتبادر إليه لتدعو عند الملتزَم، فتشعر أن الله تعالى معك يسمعك، فتلحّ عليه في كل مسألة ترجو وقوعها ممن يقدر عليها تبارك وتعالى، وأنت في تلكَ اللحظة تبكي وتشهق، وروحك فرحةٌ تتمنى لو يمتدّ الدعاء إلى السحر؟

إن هذا هو تعريف اللذة اصطلاحاً ؛ لأنه ما من تعريف لها أبلغ من الشعور بها. وهذه هي اللذة التي أريد أن تتعرفَ على معانيها، ووسائلها، وصورٍ منها .

أما تعريفها لغةً؛ فقد قال ابن منظور (توفي ٧١١هـ) في «لسان العرب»: «اللذة نقيض الألم، واحدة اللذات. وقوله عز وجل؟ من خمرٍ لذّةٍ للشاربين؟ (محمد: ١٥) لذيذة، وقيل: ذات لذة»[١].

(١) (٣/٥٠٦)

وهذا التعـريف لا يضيف وجـود أثرها في النفس، في حين أن ابن فارس (توفي ٣٩٥هـ) في «معـجم مقاييس اللغة» أفاد أنها: «أصلٌ صحيح يدل على طيب طعمٍ في الشيء»[٢].

وهذا أشـمل وأدقّ؛ فـالعـابدون يـجـدون طيب طعم الإيمان في قلوبهم، وحـلاوة المناجـاة عند ذكرهم، واطمـئنان النفس في ركـوعهم وسـجـودهم، فهي - اللذة - مـشاعـر تشتهيها النفس المطمئنة، فتجد أثرها.

وما هي العبادة؟:

هي: كمـال الحبّ وكمال الخـضوع[٤]، «فمن أحبـبته ولم تكن خاضـعاً له لم تكن له عابداً، ومن خـضعت له بلا محبة، لم تكن عابداً له، حتى تكون محباً خاضعاً»[٥].

فـلا بدّ أن تخالط عـبادتك المحـبة لله تعـالى، وهي -

---

(٢) (٥/ ٢٠٤)

(٤) رسـالة العبـودية لشيخ الإسـلام ابن تيمـية الحـراني رحمـه الله (مجموع الفتاوى: ١٠ / ١٤٩)

(٥) رسالة العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني (مجموع الفتاوى: ١٠ /١٤٩) ومدارج السالكين لابن القيم (١/ ٧٤)

المحبة - وإن كانت مغروسةً في نفس كل مؤمن ومسلم، وإلا لم يعبد الله تعالى، ولكن ينبغي استحضارها لتحقق اللذة المنشودة .

ويتسع نطاق العبادات حتى يحتوي كلَّ فعلٍ يحبه الله تعالى، فالعبادة هي «اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة»(٦)، فلا تنحصر العبادات في الشعائر التعبدية من صلاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وصدقةٍ، بل تتعدى ذلك لتشمل كل معروف، كما جاء عنه ﷺ: «كل معروف صدقة»(٧)، وقال «حتى اللقمة التي ترفعها إلى في امرأتك»(٨)، ومن المعروف خدمة المجتمع، وإتقان العمل المباح، والسعي في الأرض ابتغاء فضل الله، بل يتسع نطاق العبادة أكثر ليمكن تحويل كل عملٍ مباحٍ إلى عبادةٍ بالنية

---

(٦) رسالة العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني رحمه الله (مجموع الفتاوى: ١٠/ ١٤٩)

(٧) رواه الإمام أحمد والبخاري في "الأدب المفرد" عن جابر رضي الله عنه بسند رجاله رجال الصحيح.

(٨) رواهُ البخاري (الوصايا / أن يترك ورثته أغنياء . . : ٥ / ٣٦٣ - ح : ٢٧٤٢) عن سعد رضي الله عنه.

الصالحة، كما جاء عنه ﷺ: «نية المؤمن خيرٌ من عمله»[٩].

فانظر كيف تستطيع أن تعيش سعيداً في حياتك، هانئاً بها، كلما زاولت عملاً من الأعمال الدنيوية والأخروية، وكلها في حقيقتها أخروية.

تلازم اللذة مع العبادة:

كل عبادة يمكن التلذذ بها، فأما الشعائر التعبدية كالأذان والصلاة والحج ونحوها فأمرها ظاهر؛ لأن غالب المؤمنين قد نالوا منها شيئاً.

وأما أمور الدنيا مما يراد به الآخرة، فيمكن أن تحسّ بلذّته إذا كان فعلك له خالصاً لله تعالى؛ لأنك عند ذاك تقدّمه للأجر، لا لغرضٍ دنيويّ - وإن كان من طبيعته اللذة

(٩) رواه العسكري والبيهقي عن أنس مرفوعاً، وفيه ضعف يتقوى بشواهده (المقاصد الحسنة للسخاوي: ٤٥٠)، ومعنى الحديث أن نية المؤمن مع العمل خيرٌ من العمل بلا نية، وأيضاً: فالنية بها يدخل المؤمن الجنة، وليس بالعمل، وأيضاً: فإن أصل الأعمال كلها النية، وأيضاً: فإن النية من أعمال القلوب وهي أفضل من أعمال الجوارح، وأيضاً: فإن النية الصادقة يحصل بها الأجر ولو تخلّف العمل لسببٍ ما (فيض القدير: ٦ / ٢٩١، ٢٩٢)

الدنيوية جسديةً أو نفسيةً أو مالية - .

ومثال ذلك: نبي الله سليمان عليه السلام عندما قال: «لأطوفنّ الليلة على تسعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله» ولم يستثنِ[١٠]، فهو يفعل هذا الفعل، لا رغبةً في اللذة الجسدية - وإن كانت اللذة من طبيعة الفعل - ولكن ابتغاءً للأجر، فهو يلتذّ بالعبادة التي يفعلها عند ذاك وهو يقدّم للأمة مجاهدين في سبيل الله تعالى يفتحون البلاد والعباد.

ومثالٌ آخر: عندما كان أنس بن مالك رضي الله عنه (توفي ٩٣هـ) يأكل من القرع ويحبّه، لا لأنه ألذّ من سائر الطعام، بل لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحبّ أكله[١١] ! فهو يلتذّ به ابتغاءً للأجر، ومبالغةً في الاتباع.

وأنت - أخي المؤمن - وأنتِ - أختي المؤمنة - إذا طعمت أو نمت أو كدحت بنية صالحة ترجو ثوابها عند الله تعالى، فيمكن أن تلتذّ بذلك، والتجربةً خير برهان .

---

(١٠) رواه البخاري (أحاديث الأنبياء / ووهبنا لداود سليمان: ٦/ ٤٥٨ - ح: ٣٤٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١١) رواه البخاري (الأطعمة / الدبّاء: ٩/ ٥٥٩ - ح: ٥٤٣٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

طعم العبادة :

لا شكّ أن للعبادة طعماً، وإلا لم تكن هناك لذة، ومن الأدلة على استطعام لذة العبادة قوله عليه الصلاة والسلام: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً»(١٢).

وقوله: «ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون اللهُ ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحبّ المرءَ لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار»(١٣).

وفي رواية للإمام أحمد(١٤) عن أبي رزين العقيلي: «فإذا كنتَ كذلك فقد دخل حبّ الإيمان في قلبك كما دخل حبّ الماء للظمآن في اليوم القائظ».

---

(١٢) رواه مسلم (الإيمان/ الدليل على أن من رضي بالله رباً . . : ١/ ٢٦- ح: ٣٤) من حديث العباس رضي الله عنه.

(١٣) رواه البخاري (الإيمان/ حلاوة الإيمان: ١/ ٦٠ - ح:١٦) ومسلم (الإيمان/ بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان: ١/ ٦٦- ح: ٤٣) عن أنس رضي الله عنه.

(١٤) المسند (٤/ ١١)

وقوله: «لا يطعم أحدكم طعم الإيمان حتى أكون أنا أحب إليه من ولده ووالده ونفسه التي بين جنبيه ومن الناس أجمعين»(١٥).

مظاهر اللذة:

كما أن للإيمان مظاهر جاءت في قوله عز اسمه ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ (الفتح: ٢٩)(١٦)، وللنفاق مظاهر جاءت في قوله جلّ جلاله ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ (محمد: ٣٠)..

فللذة أيضاً مظاهر؛ فقد قال الصحابي الكبير أبوالدرداء - عويمر بن مالك الخزرجي - رضي الله عنه (توفي ٣٢ هـ): «ما لي لا أرى عليكم يا أهل المدينة حلاوة الإيمان؟ والذي نفسي بيده

---

(١٥) أخرجه المروزي في "تعظيم قدر الصلاة" عن أبي أمامة رضي الله عنه (١/ ٤٥٢ - ح: ٤٦٩) وسنده ضعيف.

(١٦) قال الغزالي رحمه الله: "قيل هو ما يلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود، وقيل هو نوع الخشوع، فإنه يشرق من الباطن على الظاهر، وهو الأصحّ" (أسرار الصلاة ومهماتها بتحقيق موسى محمد علي: ٧٧)

لو أن دبّ الغاب طعم الإيمان لرئي عليه حلاوة الإيمان»[١٧].

وهذا يدلّ على أن من ذاق لذة العبادة ظهرت آثارها على وجهه، وفي سلوكه ومشاعره ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ (البقرة : ١٣٨).

ومن المظاهر التي تبدو على المؤمن إذا هو أحس بلذة العبادة:

أولاً: المبادرة إلى الطاعات:

فالمؤمن عندما يتوجّه إلى عبادة ما، فإنه يبادر إليها فرحاً بقدومها، سواء كان وقت صلاة، أو قرب حلول شهر رمضان المبارك، أو الحجّ، أو الجهاد، أو غير ذلك .

قال الصحابي عدي بن حاتم رضي الله عنه (توفي ٦٨هـ): «ما جاء وقت صلاة قط إلا وقد أخذتُ لها أُهبَتها، وما جاءت إلا وأنا إليها بالأشواق» فهو يستعدّ للصلاة قبل وقتها، ويتشوّق للدخول فيها .

---

(١٧) «الزهد» لابن المبارك (٥٤١) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ١٣٠).

وقال سيد التابعين سعيد بن المسيب رحمه الله (توفي ٩٤هـ): «ما أذَّن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد» فلولا أنه مشتاقٌ للقاء الله تعالى ما بادر إلى المسجد قبل الأذان ثلاثون سنة، وكان الإمام القارئ عاصم بن أبي النجود الأسدي رحمه الله (توفي ١٢٧هـ) كلما مرّ بمسجد قال: «حل بنا فإن حاجتنا لا تفوت»، ثم يدخل فيصلي. وهذا منه رحمه الله شوق للصلاة وهمٌ بها كل وقت .

وقال محمد بن سماعة التميمي الكوفي رحمه الله (توفي سنة ٢٣٣هـ): «مكثت أربعين سنة لم تفتني التكبيرة الأولى إلا يوم ماتت أمي». وهذا أقل درجةً من الأول؛ لأنه يذكر التكبيرة الأولى، لا الحضور قبل الأذان.

وكان الصحابي عبدالله بن رواحة رضي الله عنه (توفي سنة ٨هـ) إذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين وإذا دخل بيته صلى ركعتين لا يدع ذلك .

وقد مدحه النبي ﷺ بقوله: «رحم الله أخي عبدالله بن رواحة كان أينما أدركته الصلاة أناخ»[١٨] .

---

(١٨) رواه الطبراني بسندٍ حسن عن ابن عمر.

فهو ﷺ من ناحيةٍ يحب أن يستقبل بيته ويفارقه على ذكرٍ لله عز وجل، ومن ناحيةٍ أخرى لا يحبّ أن يؤخر الصلاة عن وقتها ولو كان في شغلٍ أو على سفر. وذلك منه حباً للصلاة، واستباقاً للمناجاة.

وإذا كان هذا في الصلاة ففي سائر الطاعات كذلك، وتسابق أبي بكر وعمر ﷺ في أبوابٍ من الخير مشهورة.

ولذلك فإن الشيطان يحرص على أن يؤخر المؤمن عن المبادرة إلى الطاعات، فجاء في الحديث الصحيح: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»(١٩).

(١٩) رواه البخاري (التهجد/ عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصلّ بالليل: ٣ / ٢٤ - ح: ١١٢٤) ومسلم (صلاة المسافرين/ ما وري فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح: ١ / ٥٣٨ - ح: ٧٧٦) عن أبي هريرة ﷺ.

وهذا التسابق إلى الطاعات ليس داخلاً في العجلة المذمومة، بل بيَّن لنا النبي ﷺ أن «التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة»(٢٠).

وما أحسن ما وصف به يونس بن عبيد رحمه الله «أنه كان لا يحضره أمر من الله إلا كان له مستعدا»، فهو مثلاً على وضوءٍ دائماً لئلا يتأخر عن صلاة نافلة أو فريضة متى حضر وقتها، وهو أيضاً زاهدٌ في دنياه وقد كتب وصيته استعداداً للموت، أو للخروج للجهاد، وهكذا.

وتالله إنها لمنزلةٌ عظيمة لمن وفقه الله لها .

فإن استطعت -أخي وأختي في الله- ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل، كما أوصاك، ولا تكن - أو تكوني- ممن يسبق غيره إلى الدنيا، ويتأخر عنهم في أعمال الآخرة، وقد قال ﷺ : «لا تكن أول داخل إلى السوق ولا آخر خارجٍ منه»(٢١) وذلك لأنه بيت الشيطان، وهو تنبيهٌ على أن المؤمن

---

(٢٠) رواه أبوداود (الأدب / الرفق: ٥/ ١٥٧ - ح: ٤٨١٠) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. صفة الصفوة (٣/ ٣٠٤).

(٢١) رواه الطبراني في "الكبير" وقال الهيثمي: وفيه القاسم بن يزيد=

لا يتسابق إلى الدنيا، وإنما إلى الآخرة، والله المستعان.

ثانياً : إطالة الصلاة :

فمن أحسّ بلذة العبادة لم يشعر بالوقت وهو يمرّ، بل تمضي الساعات الطويلة كأنها دقائق:

زمانٌ تقضّى بالمسرَّة ساعةٌ ويومٌ تقضّى بالمساءة عامُ

ومن هنا كان النبي ﷺ يقوم الليل بالبقرة وآل عمران والنساء في ركعةٍ واحدة، لا يحسّ بطول الوقت، لاشتغاله بلذة المناجاة:

لها أحاديثُ من ذكراك تشغلها

عن الطعام وتلهيها عن الزادِ

وكذلك كان أصحابه رضي الله عنهم، والتابعون لهم بإحسان: فقد كان الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه (توفي سنة ٣٥هـ) يختم القرآن في ركعة كما ثبت ذلك عنه[٢٢]، وما ذاك

= فإن كان الجرمي فهو ثقة، وبقية رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد: ٤/ ٧٧) قال محقق "العلل المتناهية" (٢/ ١٠١) "بل هو أبو محمد القارئ شيخ صدق من الأخيار"

(٢٢) رواه أبو عبيد في "فضائل القرآن" (٩٠).

إلا لغيبته عن تعب طول القيام بإحساسه بلذة القرآن، وهو القائل: «لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم»[٢٣].

وكذا كان تميم الداريّ ﷺ (توفي سنة ٤٠هـ)[٢٤]، وسعيد بن جبير (توفي سنة ٩٥هـ) والإمام أبو حنيفة النعمان (توفي سنة ١٥٠هـ) رحمهما الله يختمون القرآن في ركعة واحدة في أناسٍ لا يحصون كثرةً كما قال النووي رحمه اللهَ (توفي سنة ٦٧٦هـ) [٢٥]، ولعل هذا في ليالي الشتاء الطويلة، أضِف لذلك بركة الوقت.

وكان أبو إسحاق السَّبيعي رحمه الله (توفي ١٢٧هـ) لما كبر كان لا يقدر على القيام حتى يقام، فإذا أقاموه قرأ بألف آية! وقال: «ضعفت ورقّ عظمي، إني اليوم أقوم في الصلاة فما أقرأ إلا البقرة وآل عمران».

سبحان الله! في حال ضعفه يقوم في الصلاة فلا يركع إلا بعد أن يقرأ البقرة وآل عمران، وقراءتهما تحتاج إلى ساعة وربع تقريباً.

---

(٢٣) رواه الإمام أحمد في " الزهد " (١٨٨).
(٢٤) رواه أبو عبيد في " فضائل القرآن " (٩١).
(٢٥) التبيان في آداب حملة القرآن (٨١).

وأقلّ منه عطاء بن أبي رباح (توفي ١١٤هـ) فإنه بعدما كبر وضعُف يقوم إلى الصلاة، فيقرأ مائتي آية من البقرة وهو قائم ما يزول منه شيء ولا يتحرك (٢٦).

وقال خالد بن دريك: "كان لنا إمامٌ بالبصرة، يختم بنا في شهر رمضان في كل أربع، فنرى أنه قد خفَّف " بمعنى أنه يقرأ ربع القرآن كل يوم، ومع ذلك عدُّوا صلاته خفيفة! وليس لذلك تفسيرٌ إلا أنهم كانوا إذا واجهوا ربهم تبارك وتعالى، فإنهم ينسون كل ما سواه.

وهناك إطالةٌ للصلاة من نوعٍ آخر، وهو أن كثيراً من السلف الصالح رحمهم الله تعالى كانوا يصلون الفجر بوضوء العشاء، أي أنهم كانوا لا ينامون الليل، فيجعلونه وقتاً للعبادة والخلوة بالله عز وجل .

منهم التابعي سعيد بن المسيب رحمه الله الذي ذُكر عنه أنه صلى الغداة بوضوء العشاء خمسين سنة، هذا وهو إمام التابعين، وسيِّدهم، فليس في فعله منكرٌ ينكر عليه، ثم إن ذلك ليس لسنةٍ ولا سنتين، ولو فرضنا أن العدد المذكور مبالغٌ

(٢٦) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦ / ٧٨٣).

فيه فلن تكون الحقيقة أقل من النصف منه.

وصلى سليمان التيمي البصري رحمه الله (توفي ١٤٣هـ) الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة، ويقال فيه كما قبله.

ومن السلف الصالح من كان يجتهد في العبادة حتى لو قيل له إن غداً القيامة ما استطاع أن يزيد في عبادته شيئاً؛ لأنه قد أتى منها بأكثر ما يقدر، منهم: أبو مسلم الخولاني رحمه الله (توفي ٦٢هـ) الذي كان يقول: «لو قيل لي أن جهنم تسعَّر ما استطعت أن أزيد في عملي».

ومنهم منصور بن زاذان الواسطي (توفي ١٣١هـ)، وصفوان بن سليم القرشي (توفي ١٢٣هـ)، وعبدالرحمن بن أبي نعم الكوفي، وحماد بن سلمة البصري (توفي ١٦٧هـ) رحمهم الله تعالى.

وبلغ التلذذ بالعبادة عند بعضهم مبلغاً أن تمنى على الله تعالى أن يرزقه الصلاة في قبره، ليلتذّ بها في القبر كما التذّ بها في الدنيا، فاستجاب الله له.

فهذا ثابت بن أسلم البناني البصري رحمه الله (توفي

١٢٣هـ) يقول: «ما شيء أجده في قلبي ألذّ عندي من قيام الليل»، وكان يدعو: «اللهم إن كنت أعطيت أحداً الصلاة في قبره، فأعطني الصلاة في قبري»[٢٧]. فأعطاها إياه، فرآه من دفنه - وهو أبو سنان - يصلي في القبر. وأقسم آخر أنه رآه في المنام يصلي في القبر بثياب خضر:

يحيون ليلهمُ بطاعة ربهم
بتلاوة وتضرع وسؤال
وعيونهم تجري بفيض دموعهم
مثل انهمال الوابل الهطال
في الليل رهبانٌ وعند جهادهم
لعدوهم من أشجع الأبطال
بوجوههم أثر السجود لربهم
وبها أشعة نوره المتلالي

قال الشاطبي رحمه الله (توفي ٧٩٠هـ): «ما ذُكر عن

(٢٧) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦ / ٤٠٢).

الأولين من الأعمال الشاقة التي لا يطيقها إلا الأفراد الذين هيأهم الله لها وهيأها لهم، وحببها إليهم، لم يكونوا بذلك مخالفين للسنة، بل كانوا معدودين في السابقين جعلنا الله منهم، وذلك لأن العلة التي لأجلها نهي عن العمل الشاق مفقودة في حقهم، فلم ينتهض النهي في حقهم»[٢٨].

وإذا كان هذا في الزمن الغابر، فلا تزال لذة الصلاة مستمرةً إلى يومنا هذا والحمد لله، وممن أُثِر عنهم المحافظة على قيام الليل سفراً وحضراً، شيخنا الشيخ العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله (توفي ١٤١٩هـ)؛ فقد ذكر من صاحبه في سفر براً من الرياض إلى مكة، فما جاءت الساعة الثانية عشرمن منتصف الليل، قال الشيخ: رأيكم لونمنا هنا ثم في الصباح نكمل السفَر. فوافق من معه، ثم ناموا، والشيخ طلب ماءً فتوضأ ثم شرع يصلي ما شاء الله له، ثم نام، ولما قاموا لصلاة الفجر وجدوا الشيخ قد سبقهم للقيام وهو يصلي[٢٩].

---

(٢٨) الموافقات (٢ / ١٤٠).

(٢٩) الإنجاز في ترجمة الشيخ عبدالعزيز بن باز / عبدالرحمن الرحمة (٢٣٦، ٢٣٧).

ودعي مـرةً إلى جدة - وكان بمـكة - فأجاب الـدعوة، ولم يعد إلـى منزله بمكة إلا في الساعـة الثانية ليـلاً، فنام من معـه، فلما جـاءت الساعة التي يقـوم فيهـا للتهـجد - وهي السـاعة الثـالثة بعـد نصف الليل - إذا هو يوقظ من نام مـعه للصلاة، ثم قام يصلي حتى الفجر، وبعد الصلاة ألقى كلمة، ثم أخذ يستمع إلى المعاملات.. وهكذا حسب برنامجه اليوميّ ! فلم يترك - رحـمه الله - قيـام الليل مع إرهاقه واخـتلاف برنامجه(٣٠).

وإذا كنت - أخي وأخـتي في الله - ترى أن مـا سـبق بعيـد المنال، وتريد أن تبلغه، وأنت بالغه إن شـاء الله تعالى، فعليك بالتدرج شيـئاً فشيئاً، فصلّ يوماً بقـصار السوَر، وبعد أيام صلّ بأطول منها.. وهكذا، فـستجد نفسك وقـد اعتادت على الإطالة، ولا تكن ممن يجتهد فجأةً ثم ينقطع، فإن أحب العمل إلى الله تعالى أدومه وإن قلّ .

(٣٠) المرجع السابق (٢٣٧، ٢٣٨).

ثالثاً : إدامة الصوم:

وكما يحبّ العابد الملتذّ أن يطيل الصلاة، فإنه يحبّ أيضاً أن يطيل الصوم، فتجده لا يفطر إلا فيما أُمِر بالفطر به من أيام العام، وهي يوما العيدين، وذلك أن الصيام يغذي الروح، فيقرِّب الإنسان من الملأ الأعلى، قال ابن القيم رحمه الله (توفي ٧٥١هـ): «خلق ابن آدم بدنه من الأرض وروحه من ملكوت السماء، وقرن بينهما، فإذا أجاع بدنه وأسهره وأقامه في العبادة وجدت روحه خفة وراحة، وتاقت إلى الموضع الذي خلقت منه، وإذا أشبعه ونعّمه ونوّمه واشتغل بخدمته وراحته أخلد البدن إلى الموضع الذي خلق منه»[٣١].

وقد سرد الصوم - بمعنى لا يفطر إلا يومي العيدين - كثيرٌ من السلف الصالح منهم: عمر بن الخطاب (توفي ٢٣هـ)، وعثمان بن عفان، وأبو طلحة الأنصاري (توفي ٣٤هـ)، وأم المؤمنين عائشة (توفيت ٥٨هـ)، وحمزة بن عمرو الأسلمي (توفي ٦١هـ)، والمسور بن مخرمة (توفي ٦٤هـ)، وابن عمر (توفي ٧٣هـ) رضي الله عنهم، وكذلك التابعون سعيد بن

(٣١) لذة العبادة (١٣ ، ١٤).

المسيب، والأسود بن يزيد النخعي (توفي٧٥هـ)، وثابت البناني، وسليمان بن يسار المدني (توفي ١٠٧هـ)، وكذلك سليمان التيمي البصري، وشعبة بن الحجاج العتكي (توفي ١٦٠هـ)، ووكيع بن الجراح (توفي ١٩٧هـ)، ومصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير، وأحمد بن حنبل (توفي ٢٤١هـ) رحمهم الله تعالى .

ومن السلف الصالح من كان يصوم الأيام البيض - ١٣، ١٤، ١٥- من كل شهر، والاثنين والخميس والأشهر الحرم - رجب، ذو القعدة، ذو الحجة، المحرم - منهم الحسن البصري رحمه الله إمام الزهاد (توفي ١١٠هـ) .

ومن السلف الصالح من كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، منهم: عبدالله بن عمرو بن العاص (توفي ٦٥هـ) رضي الله عنه، وكذا عطاء بن يسار (توفي ١٠٣هـ)، ومحمد بن سيرين (توفي ١١٠هـ) رحمهما الله .

قال سفيان الثوري رحمه الله (توفي ١٦١هـ) [٣٢]:

(٣٢) الغرباء للآجري (٦٨).

ما ضرّ من كان في الفردوس مسكنه
ما مَسّه قبل من ضرٍ وإقتارِ
تراه في الناس يمشي خائفاً وجلاً
إلى المساجد هوناً بين أطمار
تفنى اللذات ممن نال صفوتها
من الحياة ويبقى الخزي والعارُ
تبقى عواقب سوء في مغبتها
لا خير في لذةٍ من بعدها النارُ

ومن المناسب هنا أن أذكر حكم صوم الدهر رفعاً للإشكال الوارد من قوله ﷺ: «لا صام من صام الأبد»(٣٣)، ونهيه ﷺ عن صوم الدهر(٣٤)، فقد ذهب إلى كراهته الظاهرية والحنفية ورواية عن الإمام أحمد، وذهب الجمهور إلى استحبابه لمن قدر عليه، وهم المالكية والشافعية

(٣٣) متفق عليه عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.
(٣٤) رواه مسلم (الصيام / استحباب صيام ثلاثة أيام. . : ٢ / ٨١٩ - ح: ١١٦٢) عن أبي قتادة رضي الله عنه بلفظ «لا صام ولا أفطر».

والحنابلة، واستدلوا بقول الصحابي حمزة بن عمرو الأسلمي لرسول الله ﷺ: «إني رجلٌ أسرد الصوم» فلم ينكر عليه النبي ﷺ، وهو في صحيح مسلم، وسئل ابن عمر رضي الله عنهما عن صوم الدهر، فقال: «كنا نعدّ أولئك فينا من السابقين»[٣٥]، قال النووي: «قال القاضي عياض وغيره: ذهب جماهير العلماء إلى جوازه إذا لم يصم الأيام المنهي عنها. وحمل الجمهور النهي على من صام أيام الأعياد، أو من تضرر به»[٣٦].

وقال ابن رجب (توفي ٧٩٥هـ) في «اللطائف» (١٤٦ - ١٤٨) ما ملخصه: «من حكم النهي عن صوم الدهر أنه لا صام ولا أفطر، أي أنه لا يجد مشقة الصيام؛ لأنه صار له عادة مألوفة، ولأن لنفسه عليه حقاً، ولأنه قد يأتي يوم لا يطيق فيه الصوم فينقطع».

رابعاً: تلاوة القرآن:

وصف الله تعالى المؤمنين عند تنزل القرآن بأنهم ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٤).

---

(٣٥) رواه البيهقي

(٣٦) المجموع (٦ / ٣٩٠)

يستبشرون لأن آيات جديدةً فيها تبشيرٌ لهم، وتخويفٌ لعدوِّهم، فيها جوابٌ لمسائلهم، وحلٌّ لمشكلاتهم، فيها حديثٌ من حبيبهم الذي لا يملُّون سماعه!

وقد تقدم قول عثمان بن عفان ﷺ: «لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم».

لذا أقبل السلف الصالح رحمهم الله تعالى على القرآن الكريم، فمنهم من كان يختم القرآن الكريم في ليلةٍ واحدة في الأوقات الفاضلة، منهم: الإمام أبو حنيفة، وعطاء بن السائب (توفي ١٣٧هـ)، ويحيى القطان (توفي ١٩٨هـ)، والإمام الشافعي (توفي ٢٠٤هـ) رحمهم الله .

و منهم من كان يختم في ليلتين، منهم: سعيد بن جبير، والأسود بن يزيد (توفي ٧٥هـ)، ومسعر بن كدام (توفي ١٥٢هـ) رحمهم الله، ومنهم من كان يقرؤه في أربعة أيام، منهم: أبوالدرداء ﷺ، وعروة بن الزبير(توفي ٩٣هـ)، و منهم من كان يقرؤه في خمسة أيام، منهم: علقمة بن قيس رحمه الله (توفي ٦٢هـ)، وأكثرهم كان يختمه في أسبوع، منهم: عثمان بن عفان، ، وأبيّ بن كعب (توفي ٢١هـ)، وابن

مسعود (توفي ٣٢هـ)، وتميم الداريّ (توفي ٤٠هـ)، وزيد بن ثابت (توفي ٤٥هـ) رضي الله عنهم.

ومن المناسب هنا أن أذكر حكم ختم القرآن في أقل من ثلاث نظراً لقوله ﷺ: «لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث»(٣٧)، فقد ذهب الإمام أحمد في رواية، وأبوعبيد (توفي ٢٢٤هـ) رحمهما الله وغيرهما إلى كراهته، وذهب أكثر العلماء إلى جوازه، قال النووي رحمه الله في «التبيان» - بعد أن ذكر مذاهب السلف في ذلك، قال: «وأكثر ما بلغنا في اليوم والليلة أربع ختمات في الليل وأربع في النهار - : المختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص؛ فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له معه كمال فهم ما يقرأ، وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم، أو فصل الحكومات بين المسلمين أو غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة للمسلمين فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلالٌ بما هو مرصد له ولا فوات كماله، ومن لم يكن من

(٣٧) رواه أبو داود والترمذي والنسائي عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وصححه الترمذي والنووي

هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة في القراءة، وقد كره جماعة من المتقدمين الختم في يوم وليلة»[٣٨].

وقال ابن قدامة رحمه الله (توفي ٦١٠هـ) في «المغني»: «روي عن أحمد أن ذلك غير مقدر، وهو على حسب ما يجد من النشاط والقوة ؛ لأن عثمان كان يختمه في ليلة، وروي ذلك عن جماعة من السلف، والترتيل أفضل من قراءة الكثير مع العجلة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (المزَّمِّل: ٤)»[٣٩]، وإذا كان آخر الزمان يقلّ من يجد للقرآن لذةً، ولكلام الله حلاوة، قال الصحابي حذيفة بن اليمان رضي الله عنه (توفي ٣٦هـ): «يوشك أن يبلى الإسلام كما يبلى الثوب الخلق، ويقرأ الناس القرآن لا يجدون له حلاوة، فيبيتون ليلة ويصبحون وقد أسري بالقرآن وما كان قبله من كتاب، فلا يعرفون وقت صلاة ولا صيام ولا نسك ولا شيء مما كانوا عليه»، وقال التابعي أبو العالية رحمه الله (توفي ٩٣هـ): «يأتي على الناس زمان تخرب صدورهم من القرآن، ولا

---

(٣٨) (٨١، ٨٢).

(٣٩) (٢/ ٦١٢).

يجدون له حلاوة ولا لذاذة، إن قصـروا عما أمروا به قالوا إن الله غفور رحيم، وإن عملوا بما نهاهم عـنه قالوا سيغفر لنا إنا لم نشرك بالله شيئاً، أمرهم كله طـمع ليس معه صدق يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب»(٤١).

فشتان بين هؤلاء وأولئك الأخيار الأبرار:

أولئك آبائي فجئني بمثلهـم إذا جمعتنا يا جرير المجامعُ

فاحـرص - أخي، وأختي- على التغـذي بغذاء الروح من مائدة الله تعالى: القرآن الكريم، وحسبك به من لذة، فإن القرآن مأدبة الله تعالى(٤٢)، فأقبل على مأدبته، فإن الله تعالى يحب إكرام عبده المؤمن ولو على غـير مأدبته، فكيف بمن كان على مأدبته؟!

---

(٤٠) اعتقاد أهل السنة للالكائي

(٤١) الزهد للإمام أحمد (٤٢٤)

(٤٢) روى أبو عبيد (فضائل القـرآن: ١٢) والحاكم وصححه والدارمي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النـبي ﷺ قال: «إن هذا القرآن مأدبة الله تعالى فتعلموا من مأدبته ما استطعتم».

خامساً : التحسّر على فوت الطاعة:

ومن علامات الإحساس بلذة العبادة أن المؤمن إذا فاته شيءٌ من الخير، اهتمّ له واغتمّ، اهتمّ حتى لا يفوته مرةً أخرى، واغتمّ لأن غيره قد سبقه إلى الله تعالى، كما اغتمّ الذين فاتهم الجهاد في غزوة العسرة فـ ﴿تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ (التوبة: ٩٢)، وكما اغتمّ عبدالله بن عمر رضي الله عنه عندما فاته الجهاد، فقال: «عرضت على رسول الله؟ يوم بدر فاستصغرني، فلم يقبلني، فما أتت علي ليلة قط مثلها في السهر والحزن والبكاء، إذ لم يقبلني رسول الله ﷺ، فلما كان من العام المقبل عرضت عليه، فحمدت الله على ذلك»[٤٣]، وكما بكى معاذ بن جبل رضي الله عنه عند موته وقال: «إنما أبكي على ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء ومزاحمة العلماء بالرُّكَب عند حلق الذكر».

فمقدار لذة الإيمان والعبادة يمكن استشعاره بمقدار فقدانهما، كما قال ﷺ «وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار» متفق عليه، فجعل

(٤٣) تاريخ دمشق لابن عساكر.

كرهه للكفر ككرهه للإلقاء في النار، بل أشدّ، فقد جاء في رواية: «وأن توقد نار فيقع فيها أحب إليه من أن يشرك بالله شيئاً»(٤٤).

ولأجل ذلك كان سعيد بن عبدالعزيز التنوخي رحمه الله (توفي ١٦٧هـ) إذا فاتته صلاة الجماعة بكى.

وقال سليمان بن حمزة المقدسي رحمه الله (توفي ٧١٥هـ): «لم أصلّ الفريضة قط منفرداً إلا مرتين، وكأني لم أصلهما قط»(٤٥).

وقد قرأت في هذه الأيام قصة صبيٍّ في الصف الثالث الابتدائي أرشده أستاذه إلى فضل الصلاة في المسجد بما فيها صلاة الفجر، فاجتهد أن يقوم الفجر - وكان أهله لا يقومون لصلاة الفجر -، فقام ولكنه احتار كيف يذهب إلى المسجد وهو صغير! حتى سمع صوت أقدامٍ خارج البيت، فنظر فإذا هو شيخٌ كبير ذاهبٌ إلى المسجد فتبعه، فصلى الفجر، واستمرّ كذلك أياماً حتى مات الشيخ، فصار الصبيّ يبكي لفقد

(٤٤) سنن النسائي (٨ / ٩٤).
(٤٥) الرقائق للراشد.

الشيخ، فاستغرب أبوه وأمه، فسألاه، فأخبرهما الخبر، فكان ذلك توبةً لهما.

فهذا البكاء إنما هو لفقد الخير الذي كان يجده.

فهل تتحسَّر -أخي الكريم، أختي الكريمة- على فوت تكبيرة الإحرام مع الإمام، أو صلاة الجماعة، أو قراءة القرآن، أو غير ذلك من أبواب الخير؟

سادساً: تمني الموت شوقاً إلى الله لينال اللذة العظمى:

من علامات الملتذّ بالعبادة أنه يشتاق للقاء حبيبه، فطالما سمع كلامه وتلاه، وصلى له وجاهد هواه، وصام من أجله تحصيلاً لتقواه، ولكنه لم يسعد برؤيته جل وعلا، فهو دائم السؤال «وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك»(٤٦).

فحيهلا إن كنت ذا همةٍ فقد
حدا بك حادي الشوق فاطوِ المراحلا

(٤٦) رواه الإمام أحمد (٤ / ٢٦٤) وابن حبان في صحيحه، والحاكم (١ / ٥٢٤) عن عمار بن ياسر رضى الله عنه

وقل لمنادي حبهم ورضاهم
إذا ما دعا لبيك ألفاً كواملا
ولا تنتظر بالسير رفقة قاعد
ودعه فإن الشوق يكفيك حاملا

وهذا معاذ بن جبل ﷺ عندما جاءه الموت قال: «حبيبٌ جاء على فاقة». ولما تغشاه الموت قال: «اخنق خنقك، فوعزتك إني أحبك». وهل هذا إلا اشتياقاً للقاء الحبيب!، ولما سئل عبدالله بن رواحة ﷺ قبل استشهاده عمَّ يسأل، فقال:

لكنني أسأل الرحمن مغفرةً
وضربةً ذات فرغ تقذف الزَبَدَا
أو طعنةً بيدي حران مجهزةً
بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يُقال إذا مَرُّوا على جَدَثي
أرشده الله من غازٍ وقد رشدا

ومن كان كذلك فأحب لقاء الله فإنه: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه"(٤٧).

(٤٧) متفق عليه من حديث أم المؤمنين عائشة ﷺ.

وورد في الأثر أن الله تعالى يقول: «ألا قد طال شوق الأبرار إلى لقائي، وأنا أشد شوقاً، وما شوق المشتاقين إليّ إلا بفضل شوقي إليهم، ألا من طلبني وجدني، ومن طلب غيري لم يجدني»(٤٨).

ويصدّق هذا قوله ﷺ: «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: علي، وعمار، وسلمان» (٤٩).

فليسوا هم وحدهم الذين يشتاقون للجنة، بل الجنة نفسها تشتاق إليهم لكثرة أعمالهم و وفور فضلهم، جعلنا الله في كنف أحدهم بمنه ورحمته:

لو قلتَ لي مُت متُّ سمعاً وطاعةً

وقلت لداعي الموت أهلاً ومرحبا

وهذا في حق من اشتاق للقاء الله تعالى وخاف على نفسه ضعف الإيمان في مستقبل أيامه، أما من أحب البقاء في الدنيا طمعاً بزيادة الخير ونفع المسلمين، فإن هذا يؤجر بإذن الله

---

(٤٨) رواه أحمد الخراساني

(٤٩) رواه الترمذي (المناقب/ مناقب سلمان الفارسي: ٥/ ٦٦٧ - ح: ٣٧٩٧) والحاكم عن أنس رضي الله عنه بسند حسن

تعالى بحسب نيته، وقد قال ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت، إما محسناً فلعله يزداد، وإما مسيئاً فلعله يستعتب»(٥٠).

مظاهر الحرمان:

ومن خلق الله أناسٌ حُرِموا اللذة، فكرهوا طاعة الله ﴿وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا﴾ (التوبة: ٨١)، وإذا دعُوا إلى الإنفاق في سبيل الله الذي يعود عليهم بأضعاف ما ينفقون فإنهم ﴿لا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (التوبة: ٥٤).

قال فضيل بن عياض رحمه الله (توفي ١٨٧هـ): «ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول: كذب من ادعى محبتي فإذا جنّه الليل نام عني، أليس كل حبيب يحب الخلوة بحبيبه، ها أنذا مطلع على أحبابي إذا جنّهم الليل مثلت نفسي بين أعينهم فخاطبوني على المشاهدة، وكلموني على حضوري، غداً أقر أعين أحبابي في جناني»(٥١).

---

(٥٠) رواه البخاري (المرضى / تمني المريض الموت: ١٠ / ١٢٧ - ح: ٥٦٧٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥١) رواه أبو نعيم.

فالمحروم نائم، والمحبّ قائم:

قليـــل العـــزاء كثير النـــدم

طويل النحيب على ما اجترم

جـــرى دمعه فبكـــى جفنـــه

فصـــار البكـــاء بدمـــعٍ ودم

يخاف البيات لهجـم الممـات

وفقد الحيـاة بضـر السقَـــم

وكـــم ليلة رام فيهـا المنـام

فصـــاح به حِبّـه لا تنـــم

أنـــاب إلى الله مستغفـــراً

فصار له من أعـــز الخـــدَم

ومنهم من إذا حضـرت الصلاة فإنهم ﴿لا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ (التوبـة: ٥٤)، وإذا أنفقوا فـإنهم ينفـقون الخبيث ﴿وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ (البـقرة: ٢٦٧)، وظنوا أن رفعة شـأنهم في الدنيا يغنيهم من الله شيـئاً، وغفلوا

عن قوله ﷺ: «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»(٥٢).

قال إبراهيم بن يزيد التيمي الكوفي رحمه الله (توفي ٩٢هـ): «إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى فاغسل يدك منه».

فكيف يقول في من يتهاون في الصلاة كلها؟!

وقال سفيان الثوري رحمه الله: «أدركت الجفاة يقومون الليل». أي اللصوص والأشرار في وقته، فهل الأشرار في وقته، أفضل من بعض الأخيار في وقتنا.

وسائل الحصول على اللذة:

من أراد أن يتحصل على لذة العبادة، فقد مرّ عليه وسائل كثيرة فيما سبق، وأزيد عليها:

أولاً: الرضى بالله رباً:

فالصالحون ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (التوبة: ١٠٠)، رضوا عنه بأمره وقدَره، وشرعه وحُكمه، وخلقه وحكمته،

(٥٢) رواه مسلم (الذكر والدعاء / فضل الاجتماع على تلاوة القرآن: ٤ / ٢٠٧٤ - ح: ٢٦٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الصحابي عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «لا والله لا يطعم رجل طعم الإيمان حتى يؤمن بالقدَر، ويعلم أنه ميت مخرج وأنه مبعوث من بعد الموت»(٥٣).

فعليك أن تسأل الله تعالى أن يرضى عنك، فقد قال الفضيل رحمه الله: «من سأل الله رضوانه فقد سأله عظيماً».

فإذا سألت الله تعالى رضوانه وحقيقته، فليس هذا النهاية، وليس الشأن أن ترضى عن الله، بل أن يرضى الله عنك.

وسبيل الرضى التوكل عليه، والتزام أمره، ومعرفة ضعف العبد. والرضى ناشئٌ عن المحبة، فمن أحبّ الله تعالى رضي به وبكل ما يأتيه منه، فتزداد محبته له بعد ذلك، ومن أحب الله فإنه يلتذّ بخدمة حبيبه، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «المحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب، وأن لا يشرك بينه وبين غيره في محبته، ويبعده ولا يحظيه بقربه، وإذا كان

(٥٣) أخرجه اللالكائي في «الاعتقاد» وابن أبي عمر العدني في «الإيمان» بنحوه، و بنحوه عن عبادة بن الصامت. أخرجه البيهقي في «الاعتقاد» والفريابي في «القدَر»

المحبوب من الخلق يأنف ويغار أن يشرك محبة غيره في محبته، فكيف بالحبيب الأعلى الذي لا تنبغي المحبة إلا له وحده؟ وكل محبة لغيره فهي عذابٌ على صاحبها ووبال. ولهذا لا يغفر الله سبحانه أن يشرك به في هذه المحبة، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء"

ولابن القيم رحمه الله أيضاً أقوالٌ رائعة في هذا الباب، منها قوله: «الولاية عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابّه ومساخطه، وليست بكثرة صومٍ ولا صلاةٍ ولا رياضة»(٥٤).

وقال أيضاً: «اللذة تابعة للمحبة تقوى بقوتها وتضعف بضعفها، فكلما كانت الرغبة في المحبوب والشوق إليه أقوى كانت اللذة بالوصول إليه أتمّ. وكلما كان العلم به أتم كانت محبته أكمل»(٥٥).

وقال: «إذا غُرست شجرة المحبة في القلب، وسقيت بماء الإخلاص ومتابعة الحبيب، أثمرت أنواع الثمار، وآتت

---

(٥٤) مراده رحمه الله: كثرة الصلاة والصوم والرياضة الخالية عن المحبة، وإلا فإن كثرة العبادات مع المحبة دليل على قوتها. والله أعلم.

(٥٥) (الفوائد : ٥٣)

أكلها كل حين بإذن ربها، أصلها ثابت في قرار القلب، وفرعها متصل بسدرة المنتهى»(٥٦):

كانت لقلبي أهواء مفرقةٌ
فاستجمعت مذ رأتك العينُ أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده
وصرتُ مولى الورى مذ صرتَ مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم
شغلاً بذكرك يا ديني ودنيائي

ثانياً: الرضى بمحمد رسولاً:

فكما تحب الله تعالى، فأحبِب رسوله محمداً ﷺ؛ لأنه المبلِّغ عن الله، والطريق الموصل إليه، ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ (آل عمران: ٣١)، وسبيل الرضى عن النبي ﷺ محبته، والتسليم له، والتحاكم إلى سنته.

قال الحسن بن آدم رحمه الله: «لا تغتر بقول من يقول:

(٥٦) مدارج السالكين (٣ / ٩)

المرء مع من أحب، إنه من أحب قوماً اتبع آثارهم، ولن تلحق بالأبرار حتى تتبع آثارهم، وتأخذ بهديهم، وتقتدي بسننهم، وتصبح وتمسي وأنت على مناهجهم حريصاً على أن تكون منهم».

وقال سهل التستري رحمه الله (توفي ٢٨٣هـ): «من علامات حب الله حبّ القرآن، وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي ﷺ، وعلامة حب النبي ﷺ حب السنة».

ومن أحب النبي ﷺ فإنه يلتذّ بذكره و بمتابعته، ويردد صباحاً ومساءً «رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ نبياً ورسولاً»(٥٧).

ثالثاً : تعميق الإيمان باليوم الآخر ومعرفة حقيقة الدنيا والآخرة:

لقي النبي ﷺ حارثة رضي الله عنه فقال له: «كيف أصبحتَ يا حارثة؟» فقال: «أصبحتُ مؤمناً حقاً» فقال ﷺ: «إن لكل قولٍ حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟» فقال:

---

(٥٧) رواه الترمذي (الدعوات / ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى : ٤ / ٤٦٥ - ح: ٣٣٨٩) والحاكم وصححاه عن ثوبان رضي الله عنه

«عزفت نفسي عن الدنيا، فأظمأتُ نهاري وأسهرت ليلي، وكأني بعرش ربي بارزاً، وكأني بأهل الجنة في الجنة يتنعمون، وأهل النار يعذّبون. فقال النبي ﷺ: «أصبت فالزم، مؤمن نوَّر الله قلبه»(٥٨).

فمن أراد لذة العبادة فعليه أن يشعر أنه يعيش في عالم الآخرة، بنعيمها و عذابها، فينظر إلى الأشياء والمعاني بهذا المنظار، فالطاعة عنده نعيم، والمعصية عنده عذاب، فالنبي ﷺ كان يعدّ الصلاة نعمة، فيقول: «أرحنا بها يا بلال»(٥٩).

وكذلك المؤمن فـ «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»(٦٠)، سجنه لأنها تقيِّده عن لذات الآخرة - وإن كان يحسّ بشيءٍ من لذاتها في الدنيا، ففي الدنيا جنةٌ من لم

---

(٥٨) رواه البزار من حديث أنس والطبراني من حديث الحارث بن مالك، وضعّفه البزار والعراقي

(٥٩) رواه الإمام أحمد (٥ / ٣٦٣) وأبو داود (الأدب / صلاة العتمة : ٥ / ٢٦٢ - ح: ٤٩٨٥) عن صحابي وصححه العراقي

(٦٠) رواه مسلم (الزهد والرقائق : ٤ / ٢٢٧٢ - ح : ٢٩٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يدخلها لم يدخل جنة الآخرة - ولكه يبتغي النعيم الأكمل .

والمعصية ذلٌّ ووبال، قال الحسن البصري رحمه الله: «إنهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين إلا أن ذل المعصية لا يفارق رقابهم، أبى الله إلا أن يذلّ من عصاه»:

يا أهل لذة دنيا لا تدوم لهم

إن المنايا تبيد اللهو واللعبا

كم قد رأيناه مسروراً بلذته

أمسى فريداً من الأهلين مغتربا

وتعميق الإيمان بالآخرة يدفع الإنسان للعمل بنشاط، قال ﷺ: «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همَّه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِر له»(٦١).

(٦١) رواه ابن ماجه (الزهد / الهم بالدنيا : ٢ / ١٣٧٥ - ح : ٤١٠٥) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه وإسناده صحيح رجاله ثقات كما في الزوائد

رابعاً : البعد عن مقسِّيات القلب:

فمن أراد الحصول على لذة العبادة فعليه بمجاهدة نفسه أن تركب كل ما تهوى و تتمنى ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (النازعات: ٤٠) قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «النفس تهوى ما يضرها، لجهلها بمضرته لها تارة، ولفساد قصدها تارة، ولمجموعهما تارة»(٦٢)، ومن أطاع نفسه فيما تهوى قسا قلبه، وعلاج قسوة القلب:

١- ترقيق القلب بالعطف على المساكين، قال ﷺ: «إذا أردت أن يلين قلبك فأطعم المسكين وامسح على رأس اليتيم»(٦٣).

٢- وتذكر الموت دائماً، قال ﷺ: «اثنتان يكرههما ابن آدم: الموت والموت خير للمؤمن من الفتنة، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب»(٦٤).

---

(٦٢) إغاثة اللهفان (٢ / ١٣٧)

(٦٣) رواه الإمام أحمد (٢ / ٢٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه ورجاله رجال الصحيح

(٦٤) رواه الإمام أحمد (٥ / ٧٢٤) عن محمود بن لبيد ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي

ثم إن الدنيا المعاصرة المليئة بالفتن لا شيء فيها يدعو للحرص عليها، بل ما فيها يدعو للفرار منها، قال ﷺ: «يا أبا ذر، كيف أنت إذا أصاب الناس موت يكون البيت فيه بالوصيف»(٦٥).

وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول يا ليتني مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدِّين إلا البلاء»(٦٦)، وأي بلاءٍ كبلاء هذا الزمان:

أقول والنفس تدعوني لزخرفها
أين النعيم نعيم الناس والسوَق؟
أين الذين لذاتها جنحوا
قد كان قبلهم عيش ومرتفق
أمست مساكنهم قفراً معطلة
كأنهم لم يكونوا قبلها خلقوا

---

(٦٥) رواه أبو داود (الحدود / قطع النباش : ٤ / ٥٦٤ - ح : ٤٤٠٩) عن أبي ذر رضي الله عنه، والمراد : يكثر الموت حتى يباع موضع قبر بعبد (جامع الأصول : ٣ / ٥٧٨).

(٦٦) رواه مسلم (الفتن / لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل .. : ٤ / ٢٢٣١ - ح : ١٥٧) وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يا أهل لذة دارٍ لا بقاء لها

إن اغتراراً بظلٍّ زائلٍ حمق[٦٧]

٣ - وذكر الله عزوجل، قال سبحانه ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة: ١٥٢)، وقال ﷺ: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»[٦٨]، ومن أمثلة ذكر الله عز وجلّ:

قوله ﷺ: «خَلَّتان لا يحصيهما رجل مسلم إلا دخل الجنة ألا وهما يسير، ومن يعمل بها قليل: يسبح الله في دبر كل صلاة عشراً ويحمده عشراً ويكبره عشراً، فتلك خمسون ومائة باللسان وألف وخمسمائة في الميزان، وإذا أخذت مضجعك تسبحه وتكبره وتحمده مائة، فتلك مائة باللسان وألف في الميزان، فأيُّكم يعمل في اليوم والليلة ألفي وخمسمائة سيئة؟ قالوا: فكيف لا نحصيها؟ قال: يأتي أحدكم الشيطان وهو في صلاته فيقول: اذكر كذا اذكر كذا، حتى

---

(٦٧) الكبائر للذهبي

(٦٨) رواه الترمذي (الدعوات / فضل الذِّكر : ٥ / ٤٥٨ - ح : ٣٣٧٥) وابن ماجه (الأدب / فضل الذِّكر : ٢ / ٦٤٢١ - ح : ٣٧٩٣) عن عبدالله بن بسر رضي الله عنه.

ينفتل، فلعله أن لا يفعل، ويأتيه وهو في مضجعه فلا يزال ينوّمه حتى ينام»(٦٩).

٤- ترك فضول الطعام والشراب والكلام والنظر:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من كثر ضحكه قلّت هيبته، ومن فرح استخفّ به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقَطه، ومن كثر سقَطه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه قلّ خيره، ومن كثر أكله لم يجد لذكر الله لذة، ومن كثر نومه لم يجد في عمره بركة، ومن كثر كلامه في الناس سقط حقه عند الله» (٧٠).

وأما الإقلال من الطعام فقد تقدم قول ابن القيم فيه، وحسبك قول نبيك صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق «ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه»(٧١):

---

(٦٩) رواه الترمذي (الدعوات : ٥ / ٨٧٤ - ح : ٣٤١٠) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، وصححه النووي

(٧٠) رواه ابن أبي الدنيا في "الحلم" وابن حبان في «روضة العقلاء» والبيهقي في «الشعب».

(٧١) رواه الترمذي (الزهد/ ما جاء في كراهية كثرة الأكل: ٤ / ٥٩٠ - ح: ٢٣٨٠) والنسائي وابن ماجه من حديث المقدام بن معدي كرب وصححه الترمذي

ولقد عجبت من المشمِّر ما له
نسي المشمر زينة الإقلال

فإذا كانت نفسك لا تقوى على مقاومة الطعام إذا حضر فخذها أو خذيها بصوم النافلة، فإنه صحة للأبدان وطاعة للرحمن.

خامساً: المجاهدة:

وذلك أن النفس إذا أرغمتها على الطاعة استعصت عليك، فعليك بمغالبتها وأخذها بما يصلحها، لا بما تهواه، قال سبحانه ﴿وجاهِدوا فِي اللَّهِ حقَّ جِهادِهِ﴾ (الحج: ٧٨)، وقال الشاعر:

والنفسُ كالطفلِ إن تهمله شبّ على
حبّ الرضاع وإن تفطمه ينفطم

فمن جاهد نفسه على الطاعة فإنه أعظم أجراً من غيره، قال ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: «إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة»(٧٢).

(٧٢) رواه مسلم (الطهارة / فضل إسباغ الوضوء على المكاره: ١ / ٢١٩ - ح: ٢٥١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال زينة التـابعين الحسن البـصري رحـمه الله (توفي ١١٠هـ): «ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدّقه العمل».

وصرت إذا ما رمت في الخير لذةً
تتبعتهـــا بين الهمـــوم تتبعـا

وقال بعضهم: ما زلت أسوق نفسي إلى الله وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك(٧٣).

وقال ثابت البناني رحـمه الله: «كابدت الصلاة عـشرين سنة، وتنعمت بها عشرين سنة».

وحسـبك في وصف المحبين قـول أبي تراب النخـشبي رحمه الله:

لا تخدعنّ فللمحـبّ دلائـل
ولديه من تحف الحبيب وسائلُ
منهمـا تنعّمـه بمرّ بلائـه
وسروره في كل ما هو فاعـلُ

(٧٣) لذة العبادة : ١١)

فالمنع منه عطيةٌ مقبولةٌ
والفقر إكرامٌ وبرٌّ عاجلُ
ومن الدلائل أن يرى متبسماً
والقلب فيه من الحبيب بلابلُ
ومن الدلائل أن يرى متقشفاً
متحفظاً من كل ما هو قائلُ

وزاد يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله :

ومن الدلائل أن تراه مشمِّراً
نحو الجهاد وكل فعلٍ فاضلِ
ومن الدلائل أن تراه باكياً
أن قد رآه على قبيح فعائلِ
ومن الدلائل ضحكه بين الورى
والقلب محزون كقلب الثاكلِ

سادساً : الدعـــاء:

فتدعو الله تعالى أن يجعل في عبادتك لذةً تجد حلاوتها في قلبك، فقد كان النبي ﷺ يدعو بقوله: «اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي» (٧٤)، وبقوله : «اللهم إني أسألك حبك» (٧٥).

وكان عبدالواحد بن زيد رحمه الله يدعو: «اللهم إني أسألك أركاناً قوية على عبادتك، وأسألك جوارح مسارعة إلى طاعتك، وأسألك هماً متعلقة بمحبتك».

ولا شك أن المؤمن ضعيفٌ إلا أن يقوِّيه الله تعالى، فليلزم الدعاء أبداً، فإنه لا غنى له عنه.

سابعاً: أن يعتقد أنه حصل له هدفه من العبادة، ونجح فيها:

فإن ذلك يُشعره باللذة، لأنه نجح في الامتحان. وهذا من باب تشجيع النفس على الإقدام على شدائد العبادات، فإن

---

(٧٤) رواه البزار عن ابن عمر رضي الله عنهما

(٧٥) رواه الترمذي (تفسير القرآن / من سورة ص : ٥ / ٣٦٨ - ح : ٣٢٣٥) وصححه من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

النفس مـفطورة على حب الثناء، فـإذا أحسَّت النفس داخليـاً أنك راضٍ عنها وأنك راضية عنهـا، فإنها تقدم على المزيد من البذل إرضاءً لنفسها.

ثامناً : معرفة أن العـبادة ليست شكليات تؤدَّى، بل هي روح:

وهذه المعـرفـة ضـرورية لكل مـا تقـدم، فـإن أسـاس الانطلاق للشـعور باللذة هو المعـرفة، وبغـير المعرفـة يمكن أن يكون الاجتهاد في العبادة رياءً، أو ابتـداعاً، أو تتحول العبادة إلى عادة مكرورة لا طعم لها ولا رائحة .

وهذه المعرفة تتـحصل عليها عن طريق : معـايشة كتب الرقائق، وقراءة سير الصالحين، ومعرفة مقاصد الشريعة .

تاسعاً: أن تكون العبادة من أوَّليات اهتماماتك:

قيل لأحد الصالحين: أتفكر في شيءٍ وأنت في الصلاة؟ فقال: «وهل شيءٌ أهمّ من الصلاة فأفكّر فيه؟»(٧٦).

فهمّك على قدر ما أهمّك، فمن اهتمّ بإقامة العبادة كما

(٧٦) أسرار الصلاة للغزالي (١٩١)

أراد الله تعالى، حـصل على اللذة فيـها؛ لأنه لا يبـدأ بها إلا بعد أن يوفِّر الظروف التي تساعده على أدائها كما ينبغي. وإذا بدأ بها فـإنه يحرص على إتقـانها لأنه لا يملك في الدنيـا أعزّ منها .

وانظر إلى نفـسك عنـدمـا تكون لك هواية، وتعـرض عليك فرصة المشاركة في هذه الـهواية، ومن يفوز في المشاركة تصرف له الجوائز، فهل ترى نفسك تتخلف عن المشاركة ؟

فاجعل العبادة هي هوايتك وهمّك، تستقبلها بما تستقبل به بقـية هواياتك بل أشـدّ، والجوائز مـرصودةٌ لك في مـيزان الحسنات بإذن الله .

عاشراً : الراحة النفسية والطمأنينة القلبية:

فـإن الحالتين النفـسيـة والفكرية للإنسـان لهمـا أثرٌ في الشعـور باللذة، فالعبـادات - وأريد بها الشـعائر التعـبدية لا عموم لفظ العبادة - تريح البدن من آثار التعب الدنيوي، وهذا أمرٌ متـفق عليه، ولكن هذه الراحة لا تكتمل والعقل مـشغولٌ بأفكارٍ كثيرة، إلا عند من اصطفاهم الله تعالى، فاستطاعوا أن ينقلوا تفكيرهم قبل العبادة من جـوٍّ إلى جوٍّ آخر مختلف كلياً

عن الأول، فـإذا أراد أحدهـم أن يصلي أو يقرأ الـقرآن فـإنه يخلي قلبه من كل مـشاغل الدنيا قبل بدء الصـلاة أو القراءة، والتخلية قبل التحلية كما يقال، ولكن هذا لا يتيسَّر لكل أحد؛ فإن طبـيعة البـشر أن مـا يهمهم من أفكار الدنـيا، يؤثِّر على مقدار اسـتفادتهم من العبادة، ومـقدار تركيزهم فـيها، لذلك فلنحرص على أن نخلي قلوبنا من كل ما سوى الله تعالى قبل العبادة لتحصل اللذة المطلوبة، وذلك عن طريق:

١- أن نجعل فـترة زمنية بين الـعمل الدنيوي والعـبادة، فمن أراد أن يصلي الفريضة فليجعل قبل صلاته وقتاً يتنفَّل فيـه، أو يقرأ القرآن، أو يدعـو ربه، أو يذكر الله تعالى، ليهيِّء قلبه للخشوع فيها. كما أن مريد الحجّ والعمرة يقطع المسافات الطويلة فيتهيأ قلبه لهذه العبادة العظيمة .

ولذا نشـاهد أن من يصلـي في مكان العـمل غـالباً مـا يفقـد الخـشوع، بخـلاف من يصلي مع الجماعة في المسجد.

٢- أن نعمِّق في نفوسنا التوكل على الله تعالى، فإن ما

يشغل قلوبنا من أمور الدنيا لا ينتهي، فليكن الله تعالى هو عوننا على أداء أعمالنا، فلننسَ هموم الدنيا قبل العبادة، ونتوكل على الله تعالى في رزقنا، وهمِّنا، وقضاء كل حاجاتنا، فيكون القلب فارغاً متهيئاً للعبادة، وثق وثقي أن هذه العبادة التي تركت كل شيءٍ من أمور الدنيا من أجلها، هي مفتاحٌ لكل فرَج، و «من ترك شيئاً لله عوَّضه الله خيراً منه»(٧٧).

(٧٧) معنى حديث نبوي شريف، ولفظه عند الإمام أحمد عن رجل من الصحابة: «إنك لن تدع شيئاً لله إلا أبدلك الله به ما هو خير لك منه» ورجاله رجال الصحيح (المقاصد الحسنة للسخاوي : ٣٦٤).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد:

أظننا قد استمعتنا بهذه الجولة المباركة في رياض الصالحين، وعرفنا ما كانوا فيه من مراتب اليقين، وكيف ركبوا على رواحل الشوق، فأداموا القراءة والصيام، وتسابقوا إلى الصلاة خلف الإمام، وعاشوا بأجسادهم في الدنيا وأرواحهم تعبق عبير الجنان، وبقي علينا الاقتداء بآثارهم فإنه «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»(٧٨)، «ومن خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»(٧٩).

فهنيئاً للمشمِّرين، قال ﷺ: «ألا هل من مشمِّرٍ إلى الجنة ؟» قالوا: «نحن المشمرون لها يا رسول الله» قال: «قولوا إن شاء الله» فقالوا: «إن شاء الله»(٨٠).

---

(٧٨) من كلام أبي بكر الصدّيق خليفة رسول الله ﷺ (تحفة أهل التصديق ببعض فضائل الصدّيق للمحلّي : ١٥٦)

(٧٩) رواه أبو نعيم والحاكم من حديث أبيّ بن كعب رضي الله عنه، وصححه الترمذي والحاكم ووافقه الذهبي، ورواه الترمذي (صفة القيامة: ٤ / ٦٣٣ - ح: ٢٤٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وحسّنه

(٨٠) رواه ابن ماجه (الزهد / صفة الجنة : ٢ / ١٤٤٨ - ح : ٤٣٢٢) وابن حبان في صحيحه عن أسامة بن زيد رضي الله عنه.

وأنت بعد ذلك تحتاج لمن يعينك، فيصفّ قدميه مع قدميك، ويستمع تلاوتك فيوقفك على بعض معانيها، فالتمس أخاً صالحاً، والتمسي أختاً صالحةً «فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد»(٨١) ومتى بعد الشيطان قربت ملائكة الرحمن.

ولعلك وجدت فيما قصصتُ عليك شيئاً من المبالغة، فاعلم أنها حقائق لا خيال، وحوادث مشهورة لا شواذّ، وإذا لم تستطع أن تدرك القوم، فلا أقلّ من أن تقرب منهم، وإذا لم تستطع أن تقرب منهم فلا أقلّ من أن تحبّ ذلك وتتمناه، وتسعى إليك بجهدك، فإن الله تعالى بذلك يمنّ عليك ويجمعك بهم يوم القيامة، سئل النبي ﷺ: «الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم» فقال: «المرء مع من أحب»(٨٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان،،،

---

(٨١) رواه الإمام أحمد والترمذي (الفتن / لزوم الجماعة: ٤ / ٤٦٥ - ح: ٢١٦٥) والحاكم من طرق صحيحة عن عمر رضي الله عنه.

(٨٢) متفق عليه عن ابن مسعود رضي الله عنه.

ملحق في حكم الصلاة غير الخاشعة، وهل يعتد بها ؟

قال الإمام ابن القيم رحمه الله ما معناه: يعتدّ بما عقل منها في الثواب، ويعتدّ بها في الأداء إن غلب الخشوع، وإن غلب عدم الخشوع، ففي إعادتها قولان:

القول الأول : تعاد، قال به ابن حامد من الحنابلة والغزالي من الشافعية في «الإحياء»، واحتجوا بما يلي:

١ - قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (الماعون: ٥) وهذا يشمل سهو الوقت وتأخيرها، وسهو الغفلة..

٢ - قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه: ١٤) والغفلة ضد الذكر، والأمر يقتضي الوجوب.

٣ - قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠٥) والنهي يقتضي التحريم.

٤ - قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (النساء: ٤٣).

٥ - قول إمام العلماء الصحابي معاذ بن جبل رضي الله عنه: «من عرف من على يمينه وشماله متعمداً وهو في الصلاة فلا

صلاة له». وقال سفيان الثوري رحمه الله: «من لم يخشع فسدت صلاته».

٦ - أنها لا يثاب عليها فلا تبرأ بها الذمة.

٧ - أن الخشوع روح الصلاة.

٨ - أن من ترك واجباً من واجبا الصلاة عمداً وجب القضاء، فكيف بروح الصلاة؟

٩ - أن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وهذه صلاة ناقصة.

١٠ - إذا فسدت عبودية القلب، لا تنفع عبودية الجوارح.

١١ - أن كلام الإنسان لا يعتد به إذا صدر عن غفلة أو غير قصد، كاليمين ونحوه، فكذلك أذكار الصلاة لا يعتد بها مع عدم حضور القلب.

١٢ - أن الصلاة لم يكن لها هذه المنزلة إلا بسبب المناجاة، أما الأعمال الظاهرة ففي العبادات ما هو أكثر منها وأشقّ.

القول الثاني : لا تعاد، وهو قول الجمهور، واحتجوا بما يلي :

١ - قوله ﷺ : «إذا أذّن المؤذن أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى التأذين أقبل، فإذا ثوِّب بالصلاة أدبر، فإذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء وبين نفسه، فيذكّره ما لم يكن يذكر، ويقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى، فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس»(٨٣).

فلم يأمره بالإعادة، مع أنه لم يدرِ كم صلى، وغفل عنها.

٢ - أن الأحكام الشرعية في الدنيا على الظاهر، وفي الآخرة على الباطن، وبذلك يتعامل مع المنافقين .

٣ - أن تكليف الناس بالخشوع في جميع الصلاة تكليف بما لا يطاق، فمن أراد الثواب فليعد، ومن أراد الإجزاء لم يعد»(٨٤).

---

(٨٣) متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٨٤) مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٥٢٦ - ٥٣٠) وأسرار الصلاة ومهماتها للغزالي (١٢٩ - ١٣٧)

أهم المراجع :

١ - التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا، تحقيق: مصلح الحارثي
٢ - إحياء علوم الدين للغزالي.
٣ - الفوائد لابن القيم.
٤ - إغاثة اللهفان لابن القيم.
٥ - مدارج السالكين لابن القيم.
٦ - لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي.
٧ - استنشاق نعيم الأنس من نفحات رياض القدس لابن رجب الحنبلي.
٨ - شجرة المعارف والأحوال للعز بن عبدالسلام السلمي.
٩ - تهذيب مدارج السالكين لعبدالمنعم العزي.
١٠ - صفحات مضيئة من عبادة السلف لإبراهيم العلي.
١١ - الأخلاق الإسلامية لعبدالرحمن حسن حبنكة الميداني.
١٢ - حلاوة الإيمان لسليم الهلالي.
١٣ - التربية الروحية للدكتور/ علي عبدالحليم محمود.
١٤ - الرقائق لمحمد الراشد.
١٥ - لذة العبادة لسعد الصالح.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
ماهي اللذة؟	٥
ماهي العبادة؟	٦
طعم العبادة	١٠
مظاهر اللذة	١١
أولاً: المبادرة إلى الطاعات	١٢
ثانياً: إطالة الصلاة	١٦
ثالثاً: إدامة الصوم	٢٣
رابعاً: تلاوة القرآن	٢٦
خامساً: التحسر على فوت الطاعة	٣١
سادساً: تمني الموت شوقاً إلى الله	٣٣
مظاهر الحرمان	٣٦

الموضوع	الصفحة

وسائل الحصول على اللذة ٣٨

أولاً: الرضى بالله رباً ٣٨

ثانياً: الرضى بمحمد رسولاً ٤١

ثالثاً: تعميق الإيمان باليوم الآخر ٤٢

رابعاً: البعد عن مقسِّيات القلب ٤٥

خامساً: المجاهدة ٤٩

سادساً: الدعاء ٥٢

سابعاً: حصول الهدف ٥٢

ثامناً: العبادة ليست شكليات ٥٣

تاسعاً: العبادة من الأوليات ٥٣

عاشراً: الراحة النفسية ٥٤

الخاتمة ٥٧

ملحق: في حكم الصلاة غير الخاشعة ٥٩

المراجع ٦٢

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

توزيع

مؤسسة الجريسي للتوزيع

هاتف : ٤٠٣٩٣٢٨ فاكس: ٤٠٢٣٠٧٦

مطابع الإبتكار-الدمام ت: ٨٤٧٢٢٠٤

ردمك : ٠ - ١٨ - ٦٢٦ - ٩٩٦٠